

بقلم: عبد الباقي صلاي\*

كثير الحديث عن الذكاء الاصطناعي بشكل لافت وبتأكيد يكاد أن يكون مرضي خلال السنوات الأخيرة وقد تزايد الحديث عنه بشكل مثير للانتباه خلال جائحة كورونا ونزوع العالم بأكمله نحو تفعيل المتحاضر عن بعد عبر وسائل اجتماعية استطاعت أن تفرض وجودها كخيار حتمي للمرحلة القادمة وكدعم أكبر لما سمي بالذكاء الاصطناعي.

في علم الحاسبات يشير مصطلح الذكاء الاصطناعي (AI) إلى أي ذكاء شبيه بالإنسان يتم عرضه بواسطة الكمبيوتر أو الروبوت أو أي جهاز آخر. وتعريف الذكاء الاصطناعي الشائع يشير إلى قدرة الحاسوب أو الآلات على محاكاة قدرات العقل البشري والتعلم من الأمثلة والتجارب والتعرف على الأشياء وتعلم اللغة والاستجابة لها واتخاذ القرارات وحل المشكلات والجمع بين هذه القدرات وغيرها. ويفترض بهذه القدرات أن تؤهل الحاسوب أو أي جهاز آلي لتأدية وظائف يقوم بها الإنسان مثل استقبال نزيل في فندق أو قيادة السيارة. وبعبارة أخرى الذكاء الاصطناعي هو مزيج من العديد من التقنيات المختلفة التي تمكن الآلات من الفهم والتصريف والتعلم بذكاء يشبه الإنسان.

وقد استند هذا النظام العلمي أساسا كما يجمع عليه المعارضون إلى افتراض أن جميع الوظائف المعرفية ولما سمي بالتعلم والاستدلال والحساب والإدراك والحفظ في الذاكرة وحتى الاكتشاف العلمي أو الإبداع الفني قابلة لوصف دقيق لدرجة أنه يمكن برمجة جهاز كمبيوتر لاستنساخها. ومنذ وجود الذكاء الاصطناعي أي منذ أكثر من ستين سنة ليس هناك ما يفسد أو يثبت بشكل قاطع هذه الفرضية التي لا تزال مفتوحة وخصبة في آن واحد.

إن العالم اليوم وبخاصة المتحضر قد سار شوطا كبيرا في هذا المجال وعرف أسرار هذا المطلب الذي أضحى مع مرور الوقت كما تقدم مطلباً ملحا ولو على علته وعلى ما يحمله من تداعيات خطيرة على المجموع البشرية في المستقبل البعيد على الأقل. يقول الدكتور عمر حاتم مؤلف كتاب بين العقول Brains Between: إن المستقبل يحتم الاستفادة من الذكاء الاصطناعي إذ سيتطور التعليم مستقبلا لتتم الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تحديد تعليم كل شخص على حدة وفقا لدرجة استيعابه وهذا سيسرع من عملية التعليم ويختصر الوقت والجهد. كما أن الجامعات بدأت بالفعل تطبيق الذكاء الاصطناعي عبر تحديد مستوى تركيز وقابلية الطلاب أثناء المحاضرات وبالتالي يتم تعديل المحتوى بالشكل الذي يزيد الاستفادة وتركيز الطلاب.

لكن ما محل عالما العربي المتخلف في التكنولوجيا من بناء صرح تعليمي يعتمد على الذكاء الاصطناعي فهل سيقوم بثورة تكنولوجية مفاجئة بعد غياب لعقود طويلة عن عالم العلم والمعرفة أم كيف يدخل حلبة العلوم والمعارف دونما سلاح قوي يمكنه على الأقل بناء ترساناته العلمية والحفاظ عليها من فيروسات هجومية مفاجئة. لأنه من غير المنطقي أن تستورد التكنولوجيا والمعارف وتوضع ضمن نسق مجتمعي لا يحسن التعامل معها وكيف يستفيد منها. لأن أدوات الذكاء الاصطناعي يجب أن تنطلق من المجتمع نفسه حتى يستطيع أن يتعامل معها وفق معطيات عديدة. كما يتوجب على أي مجتمع يريد التأقلم مع ما يتطلبه الذكاء الاصطناعي أن يكون ملما بالعلوم العصرية والمعارف المختلفة. وحتى لا نظل الذكاء الاصطناعي كملجأ ضروري للحضارة المعاصرة يجب على الدول العربية أن تنتقل بسلاسة متكاملة نحو تبني التعليم المنتج وتبني العلوم التجريبية وتفعيل المخابر واحترام العقل الإنساني لتطوير المنتجات المعرفية ثم خلق جسور تلاقح مع المجتمعات الأخرى لتبني هذا المشروع الذي يصعب تبنيه في بيئة جاهلة بميكانيكيات معرفية. □

لقد أشار عمر حاتم إلى أن التعليم استفاد بشكل كبير بعد جائحة كورونا خاصة مع إلزامية التعليم عن بعد بالشكل الذي يحقق الراحة والمرونة للطلاب. كما أكد على أن الذكاء الاصطناعي سيساهم في ابتكار برامج تعليمية مخصصة لكل طالب والواقع الافتراضي سينقل الطلاب إلى حقبات تاريخية ليختبرها بنفسه بدلا من قراءتها.

مبيناً أن المستقبل سيشهد جامعات ومدارس في الميادين ستدرس برامج كاملة خلال 10 سنوات والتركيز اليوم بشكل أكبر على المهارات بدلا من الشهادات والمناهج الدراسية لا تواكب التغيير السريع في المهارات التي تطلبها الشركات الخاصة.

ما يؤكد عليه صاحب كتاب بين العقول يدخل ضمن ما يمكن أن يفرضه نظام الذكاء الاصطناعي وما يعرف عنه بشكل علمي صرف. لكن الإشكالية الكبرى التي نود مناقشتها بتؤدة كبيرة أيضا. كيف نستفيد نحن كمسلمين من هذا التوجه العالمي الذي بدأ يغزو العالم بشكل لافت. وما قدرتنا الحقيقية في دخول هذا المعترك الحضاري ونحن صفر اليديين من كل علم حقيقي وعلوم لنا عليها ملكية خاصة. لا يمكن التغاضي عما تطرحه الحقائق العلمية ويجب مجابهة الواقع بصراحة كاملة وعقل متدبر. كون العرب والمسلمين ليسوا على أهبة الاستعداد لدخول معركة الذكاء الاصطناعي والمعاناة الكبرى هي في تطوير علوم قديمة فقط. كما أن العالم العربي المسلم ما يزال مع العلوم التجريدية التي تعتمد وتستند على الأرقام المجردة والنظريات الجوفاء التي لا تحرك فكرا ولما تدفع عقلا نحو التحليل والتمحيص.

نحن لا نزرع اليأس في طريق تبني الذكاء الاصطناعي ولكن نحن نرغب أن يفقه الآخرون أننا أمة عرجاء علميا متخلفة حتى في السرقات العلمية وتطبيقاتها. ولسنا مهيين ثقافيا فقط لتقبل أن يكون الذكاء الاصطناعي في كل شيء في حياتنا.

نحن أمة ينقصها العلم والمعرفة وهذا يجب التأكيد عليه. وانطلاقا من هذا يجب التأكيد على المسيرة العلمية من الابتدائي للجامعة

فضلا عن تصحيح مفاهيم كثيرة حول التعليم والثقافة والخطاب الديني. دورنا في المستقبل كأمة مسلمة استمرت القعود والمكسل العقلي أن تنهض وبفزع كبير لتعرف حقيقة نفسها وأين موقعها من الخريطة العالمية لأن الذكاء الاصطناعي وإن كان يبني أمما متحضرة خلاقة لهذا المصطلح ذاته فإن أمتنا العربية والمسلمة يكفيتها إما التفرج على الأمم الأخرى وهي تمارس الحضارة أو الانخراط الحقيقي في لب الحضارة وهذا يتطلب جهودا جبارة.

\* إعلامي ومخرج سينمائي وتلفزيوني □